بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين لا سيما محمد وآله الطيبين الطاهرين. بمناسبة الغدير وإعلان ولاية أمير المؤمنين سلام الله عليه، أحاول أن أوضح الولاية، ولاية أمير المؤمنين (ع) وبعض أبعادها[1]

هناك بعض المظاهر التي يلحظها الإنسان، مثلا نرى بعض الشباب يحلقون رؤوسهم بطريقة معينة أو يلبسون ملابس معينة، الإنسان حينما يرى ذلك يتعجب لمَ هذا الشاب يحلق شعره بهذه الطريقة أو يلبس هذه الملابس؟ فقد يراه شيئا غير صحيح فيتصدى ويحاول أن يغيره، قد ينجح في تغيير هذا الأمر في الظاهر، ولكن هل هذه المشكلة تزول بالمحاولة التي تنتج تغيرا ظاهريا؟ هذه المسألة لها جذور. هذا ذكرته لا لأن أركز عليه وإنما لأبين أن هذه التصرفات تعكس ولاية، تعكس توليا وتبريا، بمعنى أن هذا الشخص له أولياء، لكل إنسان في حياته وليّ ولكل إنسان في حياته أولياء أريد أن أشرح هذا

حسب ما أنا متأكد منه لا عن طريق الاستقراء وإنما بطرق أخرى، هو أن لكل واحد منا ولي. تصرفاتي تجسد ولاية، تصرفاتك أنت كذلك تجسد هذه الولاية، تلك التصرفات الطبيعية التي تكون معها الرغبة والحب، قد يكون هنالك إنسان يصلي ويصوم لكن الصلاة لا تجسد الخط الأساسي في حياته، يعني إذا يصلي أو لا يصلي فطريقة حياته لا تتغير، شرائع حياته، اتجاهات حياته، أسس حياته لا تتغير. يحج ومن الممكن أنه يكرر الحج كذلك، لكن الحج ليس داخلا في صميم حياته بحيث أنه لو لم يكن يحج لتغيرت اتجاهات حياته، ولكن ليس كذلك، هنالك في حياته توجد تصرفات وسلوكيات وهي التي تعكس ولاية الشخص بشكل طبيعي، تجسد توليه

في كل خط في كل طريقة يوجد هنالك ولاة ويوجد هنالك أئمة هم الذين يقودون هذا الخط ويروجونه ويجسدونه، فالإنسان يسير على خطاهم من دون أن يقول هؤلاء أئمتي أو هؤلاء ولاتي، لكن في الحقيقة هو اتخذهم أولياء، هذا باختصار وسوف أوضح

في الثامن عشر من ذي الحجة من السنة العاشرة من الهجرة، أُمر رسول الله (ص) بأن يبلغ ولاية أمير المؤمنين (ع)، فأمر بأن يجتمع الناس –القضية معروفة– وأعلن: (**ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟**

(١) تحدث به السيد محمد علي الباقري حفظه الله بتاريخ ٢٠ ذو الحجة ١٤١٣ الموافق ١٩٩٣/٦/١١، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف نتيجة تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة.

قالوا بلى، قال: فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه)[٢]، ماذا تفهم من هذه العبارة؟

هؤلاء الذين كانوا مع رسول الله (ص)، رسول الله كان مولاهم أم لا؟ كان مولاهم يعني كانت له الولاية عليهم بأمر من الله تبارك وتعالى، يعني كان يجب على كل واحد منهم أن يطيعه، هذه الطاعة في الظاهر كانت موجودة، حتى المنافقين كانوا يطيعون في الظاهر رسول الله (ص)، فإذن كانوا متخذينه (ص) وليا حسب الظاهر لأن المجتمع كان مجتمعا يخضع لأوامر رسول الله (ص)، وإن حصل هناك خروجات ومعاصي، ولكنها ما كانت تشكل القاعدة، لرسول الله حق الطاعة يأمر ويجب أن يُطاع ينهى ويجب أن يُطاع، هؤلاء كلهم كانوا هكذا

فلو كان معنى (**فمن كنت مولاه**): فمن كان يجب عليه أن يطيعني في الظاهر بمعنى أنه أيها الناس أليست طاعتي واجبة عليكم وعلى جميع الناس؟ لأنني أنا أُرسلت للناس كافة، فعبارة (**فمن كنت مولاه**) لا تتناسب وليس لها مورد

إذن يُفترض أن هنالك معنى آخر للعبارة لأنه لم يكن كل هؤلاء الموجودين موالين لرسول الله (ص)، كثيرون من المسلمين كانت لهم انتماءات خارج خط رسول الله (ص) وإن كانوا يطيعون رسول الله ويصلون ويصومون ويعملون الواجبات، فقسم كبير منهم ما كانوا يعقلون وما كانوا يفكرون، اتجاهاتهم كانت اتجاهات تختلف عن وجهة النبي (ص)، فالتصور الموجود في أذهانهم عن الدين لم يكن متبلورا واضحا بدرجة بحيث أن ينتج انتماء دينيا محددا

هنالك –كما قلت– أئمة هنالك ولايات، إما ولاية صالحة تصل في الأخير إلى ولاية الله تبارك وتعالى، أو ولاية ضالة تصل إلى ولاية الشيطان، فالإنسان من يتخذ وليا؟ هذا لا يُتصنع بحيث أن يقول الشخص أنا أريد أن أتخذ أمير المؤمنين وليا أو أتخذ فلانا وليا، لا، ليس بهذا الشكل! كيفما تكونوا يولّ عليكم

ما هو دينك؟ دينك الحقيقي، ما هي اتجاهاتك؟ ما هي رغباتك؟ ماذا تحب؟ ماذا تبغض؟ كلما كانت المسائل أوضح في نفسك يظهر لك الإمام الذي تتولاه وفق هذه التصورات في نفسك، شِئت أم أبيت هؤلاء أئمتك، راجع نفسك تجد هذا الشيء بوضوح

(٢) بحار الأنوار (١٨٠/٣٧) نقلا عن كتاب الطرائف

رسول الله (ص) عاش مدة بين هؤلاء المسلمين، هؤلاء كان المفروض أن يعرفوا ولاية رسول الله (ص) لا فقط يأخذون منه الواجبات والمحرمات، فالآية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ...)[٣] (أَطِيعُوا اللَّهَ) وحدها لا تكفي بل (وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ)، فكان المفروض أن يعرفوا ولاية رسول الله (ص)، ما هو اتجاه رسول الله (ص)؟ ما هو المسار الذي كان يُريد أن يسوق إليه العالم بأسره، لا فقط هؤلاء المسلمين، العالم الذي كان رسول الله يُريد أن يصنعه ويبنيه، أي عالم كان؟ كثيرون من الناس ما كانوا يفكرون، كانوا يتصورون بأن الصلاة والصيام تكفي، كانوا يعيشون الحياة وكانت لهم اتجاهات أخرى، قلة من الناس من كانوا يعيشون ولاية رسول الله (ص) بمعرفة

إن أمير المؤمنين (ع) كان يعيش سيرة رسول الله (ص) واتجاهاته بكل وجوده، وكذلك أبو ذر، وكذلك سلمان، وكذلك أناس آخرون وكانوا قلة، فعبارة (**فمن كنت مولاه**) تعني هؤلاء الذين كانوا يعرفون ولاية رسول الله (ص)

أما الذين ما كانوا يعرفون ولاية رسول الله (ص) حتى إذا قالوا نحن معك معك، نحن نواليك ونوالي عليا (ع)، نبكي عليه نبكي على ابنه الحسين، فهؤلاء أصلا لا يعرفون ولاية رسول الله (ص)، فهؤلاء هل يُتوقع أنهم يوالوا أمير المؤمنين (ع)؟! لا، يكذبون حينما يقولون نحن نوالي أمير المؤمنين، (**فمن كنت مولاه**) معناها: من كنت مولاه فعلي (ع) بشكل طبيعي يكون مولاه، لأنه (مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ)[٤] ، راجع نفسك لا يوجد هنالك إمامان متضادان في داخل النفس، لا يوجد اتجاهان مختلفان في داخل النفس وإنما اتجاه واحد، نحن نخادع أنفسنا حينما نتصور بأنه نستطيع أن نكون من شيعة أمير المؤمنين (ع) أو موالين لرسول الله (ص) ونعيش اتجاه أئمة الكفر. الإنسان الذي يتعقل بالتدريج يصل إلى أن الاتجاهات المختلفة تنحصر في اتجاهين فقط، اتجاه يمثل ولاية الأنبياء ودعوتهم وهي دعوة واحدة، واتجاه آخر كان الكفار هم الذين يقودون هذا الاتجاه

فرعون كان عاليا في الأرض مسرفا، وكان قد استعبد بني إسرائيل، استعبدهم بماذا؟ زيّن الحياة وزخرفها، طور الحياة، فلا توجد هنالك حياة متطورة مزخرفة إلا أن يوجد في هذه الحياة أناس بارزون، هل تفكر بأن الحياة من الممكن تكون متطورة مزخرفة متزينة وفي نفس الوقت لا يوجد هنالك أناس مزينون ومزخرفون ومطورون وفي نفس الوقت هؤلاء لا يُتخذوا أئمة؟! لا يُخضع لهم؟! وأن هؤلاء لهم قيمة أكبر من غيرهم؟! راجع، هذه قضايا تجريبية الإنسان يجدها في نفسه، فالناس اتخذوا فرعون ربا لهم، كان

---

(٣) (النساء: ٥٩)

(٤) (الأحزاب: ٤)

هنالك أرباب غيره كذلك، في قصة يوسف (ع) (أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ)[٥] هذا معناه أنه لم يكن هنالك رب واحد، دائما هكذا إذا هنالك رب أكبر هنالك يكون أرباب صغار في نفس الخط، إمام أكبر، أئمة صغار في نفس الخط

فرعون استعبد وأخضع الآخرين، بدل أن يفكروا في الله وحده وأن الناس سواسية، كان يستغل كل إمكانياته الموجودة في ذلك الحين، كان هنالك كهنة يسندونه باسم الدين، وكانوا يروجون عظمة فرعون وعظمة وضعه، انظر إلى هذا التاج، انظر إلى هذا البيت، انظر إلى هذا الجمال، انظر إلى هذا الوضع، انظر إلى هذه الأنهار التي تجري من تحته، انظر إلى حياته الباذخة العظيمة. قارون كذلك كان ربا

بُعث موسى(ع) ليحرر الإنسان وليحطم فرعون، فالمعجزة كانت في أن يغرق في البحر وتظهر جثته حتى الناس يرون ذلك الإنسان الذي اتخذوه وليا في قرارة أنفسهم، وحتى الإنسان الذي كان يعيش في الصحراء كان يعيش ولاية فرعون في داخل نفسه: يا ليت الحياة تصبح كحياة فرعون، يا ليت البيوت تصبح كبيوت فرعون يا ليت أن الناس يلتفون حوله كما يلتفون حول فرعون، وهكذا

ربوبية فرعون في داخل النفوس تحطمت، فتحرر بنو إسرائيل وآمنوا بالله وكبّروا الله وحده، تحطم كل شيء صغر كل شيء في نظرهم ففي تلك المرحلة لم يلههم شيء، الاتجاه أصبح اتجاها أخرويا، فالإنسان لم يُخلق عبثا كل شيء عند الله تعالى بمقدار، كل شيء فيه بحساب، وأن الإنسان سوف يموت سوف يحشر ويحاسب، بنو إسرائيل هكذا أصبحوا، لكن بعد ذلك وُجد انحراف، اليهود الذين فضلهم الله على العالمين –القرآن الكريم يصرح بذلك كثيرا– اختارهم وجعل فيهم أنبياء وجعلهم أسوة، بالتدريج ماذا أصبحوا؟ أصبحوا كفارا، كفار يعني تخلوا عن الله، اتجاهاتهم أصبحت اتجاهات كافرة (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ)[٦]

ثم بُعث عيسى بن مريم (ع) وكان يقول إنكم كفرتم، إن اتجاهاتكم اتجاهات كافرة، إنكم اتخذتم من دون الله أربابا، اتخذتم أحباركم ورهبانكم أربابا من دون الله، لا يمكن أن يكون الإنسان عبدا لله إلا وأن لا تكون في داخل نفسه ولاية لغير الله أبدا، لا يتخذ وليا غير الله إلا في صراط الله بمقدار ما بيّنه الله وما أمر به، الآن تخضعون لكل شيء ولكل أحد! هؤلاء الأحبار والرهبان يسوقونكم إلى اتجاهات كافره يسوقونكم للمال وللدنيا

---

(٥) (يوسف: ٣٩)

(٦) (البينة: ١)

بُعث عيسى (ع) ليحطم هذه الأصنام الجديدة التي نشأت، هذه أصنام ما كانت أصناما كما كانت في عهد فرعون، بل أصنام داخلية، أناس أُتخذوا آلهة وأربابا، فحطمهم ليكبر الإنسان الله وحده ليتحرر، لأن تكون الولاية لله وحده وللأنبياء وحدهم، فالحركة تكون في اتجاه الآخرة وهذه الدنيا تصبح متاعا لا تلهي الإنسان، ولا تتحول إلى وسيلة لتمايزات إنسانية تطرح –شئت أم أبيت– ربوبية إنسان على إنسان

فآمن به الحواريون وقالوا (نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ)[٧] وفعلا هكذا كان، ثم بعد ذلك بالتدريج التحريف أصاب ذلك الدين وحرفوا الكلم عن مواضعه ليصبح (الله أكبر) فقط في المسجد، فقط في الكنيسة يكبّر الله، عليك بعض الحقوق المالية أدّها ولا يهمك في أي اتجاه تعيش، عش كما شئت، فأصبح الفرق بين النصارى واليهود فرقا بين مذاهب وطوائف فقط، نفس القلوب متشابهة، رغبات متشابهة، اتجاهات متشابهة، كل واحد منهم كان يريد أن يتمتع في هذه الدنيا أكثر من المشركين، أوليس كانوا يقولون نحن أولياء الله وأوداؤه؟ لو كنتم صادقين ماذا تفعلون؟ (فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)[٨]

بُعث رسول الله (ص)، خاطبهم: أنتم كفرتم، هل هؤلاء كانوا يقبلون أنهم كفرة؟ لا، هؤلاء كان عندهم كنائس ويكبرون الله خصوصا اليهود كانوا محافظين، يقولون نحن نقرأ التوراة يوميا، ملتزمون كثيرا متمسكون برهباننا وبأحبارنا!

رسول الله (ص) خاطبهم: كفرتم، اتجاهكم أصبح اتجاه كفر، اتجاه عدم وجود الله، هم يقولون نحن نعترف بالله! لكن القلوب متشابهة فالإنسان المشرك لا يختلف عن اليهودي الذي يصلي كثيرا والنصراني الذي هو مثقف بثقافة هائلة، كل هؤلاء كانوا متشابهي التفكير ومتشابهي الاتجاه

رسول الله (ص) صنع ذلك المجتمع الحر، العبادة لله وحده، تصور ذلك الإنسان الحافي الذي لجام فرسه من ليف، فرسول الله يبعثه برسالة الى كسرى بمدائنه بإيوانه بجامعته العريقة (جندي شابور) التي تخرّج أطباء، وبتاجه وبذهبه وبثقافته وبفنه وبجيشه وبحياته المزخرفة المتطورة، ليبعث إليه بهذه الرسالة (**أسلم تسلم**)، أنت كافر اتجاهك اتجاه كفر، أولياؤك كفرة، وليك الشيطان، تخلى عن هذا الاتجاه، هكذا كان.

هنالك قليل من الناس من تدبروا وتفكروا وتعقلوا فعرفوا ولاية رسول الله (ص)، وتحولت هذه السيرة إلى رغبة وحب، فقد كان أمير المؤمنين (ع) يعيش سيرة رسول الله (ص) (**فإن لم آخذ بما أخذ به رسول**

---

(٧) (الصف: ١٤)

(٨) (البقرة: ٩٤)

الله صلى الله عليه وآله خفت أن لا ألحق به)[٩]،كان يعيش بكل وجوده ولاية رسول الله (ص)

هذه الولاية هي تأتيك، هذا لا يحتاج أنه تقول: أوالي من؟ أنت غيّر نفسك فالولاية تأتيك، الولاية موجودة، أنت غيّر طريقك ففي الطريق سوف تلتقي بأمير المؤمنين (ع)، حتى إذا لا تعرف اسمه، أما إذا كان اتجاهك في غير اتجاه أمير المؤمنين، فهنالك أئمة كفر مبثوثون في الطريق، حتى إذا أنت ما تعترف بهم بأنهم أئمة لك وأنهم كفرة لكن هذه الولاءات هي التي تتجسد في اليوم الآخر

فكر معي، رسول الله (ص) أعلن هذا (**فمن كنت مولاه**) يعني اعرف ولايتي، ولايتي ماذا كانت تعني؟ لو كنت في ذلك الحين ويخاطبك رسول الله (ص): ألست أولى بك من نفسك؟ حينما تراجع نفسك هل كنت تعرف سيرة رسول الله (ص)؟ وتعرف اتجاهاته إلى أين كان يقود العالم؟ وكيف كان يريد أن يصنع الحياة؟ (**فمن كنت مولاه فعلي مولاه**)

الآن نحن بين مناسبتين عظيمتين، ذكرى ولاية الحق ولاية أمير المؤمنين (ع) لأجل أن يستمر هذا المسار، لأجل هداية الإنسان، لأجل بيان طريق الإنسان وسوقه إليه، وذكرى استشهاد الإمام الحسين (ع) مع أهله وأصحابه

فكر، إن الله أعطاك كل إمكانيات التفكير، من هو وليك؟ لا تقل من أوالي؟ بل من هو وليك فعلا؟ لا يمكن أن تغير الولاية وإنما ماذا عليك أن تفعل؟ أن تراجع الجذور، فإذا أمير المؤمنين (ع) لا يوجد في صميم حياتك يعني -والعياذ بالله- توجد ولاية أخرى مضادة لولاية أمير المؤمنين (ع) على الرغم من كل التصرفات التي تجسد تشيّعك في الخارج، (يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)[١٠]

فكر في هذه الأيام لكي تصبح إماميا وتتولى أمير المؤمنين بالطريقة الطبيعية الصحيحة، لابد أن تراجع جذور مبادئك، تصوراتك، اتجاهاتك، أين أنا من رسول الله (ص)؟ لتصبح شجرة طيبة فتثمر الولاية الطبيعية، كان الله معك أرجو أن يجعل الله في هذا الحديث نفعا، والحمد لله رب العالمين

---

(٩) (مكارم الأخلاق: ص١٨٢)

(١٠) (الشعراء: ٨٨-٨٩)